ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

ابن رشد غزاليا

نظرات في كتاب بين مثابتين
للمرحوم الأستاذ الدكتور محمد مساعد

ا.د. إبراهيم بورشاشن
مدير مركز الدراسات الفلسفية- أبوظبي
الامارات العربية المتحدة

مدخل:

لعل الغزالي من رجالات الفكر الإسلامي القلائل الذين طبعوا البنية الثقافة العربية الإسلامية بطابع خاص، ومهما اختلف في طبيعة هدا التأثير وتضاربت الآراء حوله فإن لا أحد ينكر مساهمة "حجة الإسلام" في تشكيل عقلية العربية الإسلامية في كثير من مظاهرها بعامة كما يتجلى على الخصوص في المظهر الصوفي من خلال موسوعته "إحياء علوم الدين"، وفي تشكيل الخطاب الرشدي بخاصة كما يتجلى على الخصوص في هذا العمل الذي نقدمه اليوم في هده الحلقة العلمية، وهو العمل الذي يعتبر صاحبه يحمل هاجسا رشديا أولا، وبالذات كما يقول رغم أنه أهداه بحسب تعبيره "إلى شيخ غزالي المغرب ومتكلميه" الأستاذ أحمد علمي حمدان.

أصل هدا العمل رسالة جامعية قدمت في أوائل التسعينات من القرن الماضي، لكنها اليوم وقد نشرت تقدم الاجتهادات الأخيرة لصاحبها في علاقة بين فيلسوفين اتسمت بالطرافة والجدة، وقيل فيها في هدا العمل قولا غير مسبوق، ومن هنا قيمة عمل الزميل العزيز الأستاذ مساعد.

حقا، إن الأستاذ مساعد لا يخفي أن هدا العمل كان نتيجة حوار بينه وبين المرحوم جمال الدين العلوي، وأنه يقوم على المقالة الفريدة التي كتبها المرحوم عن علاقة الغزالي بابن رشد والإشارات الثمينة التي أضاءت كثيرا من إشكالات هده العلاقة، وأن هدا الحوار أثرى الموضوع حيث تم الانتقال من جعل هده العلاقة إيديولوجية إلى رفعها إلى المستوى المعرفي. وإذا كان هدا المستوى الإيديولوجي سيخصص له الفصل الثالث من الكتاب فإن الفصلين الأولين سيفردهما للمستوى المعرفي؛ الأول لحضور الغزالي الأصولي عند ابن رشد والثاني لحضور الغزالي الفلسفي عند ابن رشد.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

ميزة الكتاب أن صاحبه يصرح فيه بكل شيء، ولعلها من بقايا الحس المنهجي الذي كتب به عمله أول مرة؛ فيصرح بمنهجه أو مناهجه؛ فالمنهج الأساس الذي يقارب به الإشكال هو "المنهج الفلسفي" الذي ينظر في مسائل الفلسفة من قلب تاريخ الفلسفة. وكدا "المنهج الفيلولوجي" الذي ينظر في مسائل التحقيق اللغوي والكرونولوجيا ومراعاة المتن وضياع النصوص والخروم والنحل والتصحيف وسوء القراءة وغيرها مما يتعلق بالنظر في النصوص من زاوية الدراسة النقدية لها. دون أن يغفل ما يقدمه ما يمكن تسمية بالمنهج الإيديولوجي من مساهمة في تجلية العلاقة بالغزالي. كما يصرح بتعدد قراءاته؛ فهي قراءة وصفية، إشكالية، تشخيصية، استكشافية، كما يصرح بعلاقته النفسية والمعرفية بمختصر المستصفى، وهو الكتاب الذي لا يني يذكر الباحث أهمية اكتشافه ودوره في ذلك طول الكتاب، خاصة أن هدا الكتاب "قلب الصورة السائدة عن علاقة ابن رشد بالغزالي" .

كما لايني الباحث بالتصريح بأهمية عمله الذي تلصص عليه الكثيرون قبل أن ينشره، فهو من الجدة إلى درجة أنه لم يقف على أي مرجع أو كتاب يثير الإشكال بالصورة التي تهمه في هذا العمل باستثناء أعمال المرحوم جمال الدين العلوي . فهده الأعمال هي التي اهتدى بهديها، مع نصوص الغزالي وابن رشد، مع حرص كبير على تمييز اجتهاداته عن اجتهادات جمال الدين العلوي، دون أن يصرح أنه يخرج عن مذهب شيخنا في العلاقة إلا اجتهادات داخل المذهب إدا صح هذا التعبير، وهي اجتهادات تشي بحرص الباحث على إكمال مشروع شيخه والتعقب عليه كما يصنع في كتاب صرح أنه بصدد إنجازه أكثر من مرة يتعلق ب المتن الرشدي.

بعد هذا التقديم العام نحاول أن نلج مع الأستاذ مساعد إلى تواليف هدا العمل نمسك بمفاصله الكبرى ونعرض أهم أطروحاته التي حاول أن يدافع عنها من خلال منهج تشكيكي ترفده مناهج أخرى سبقت الإشارة إليها مما أعطى للعمل نفسا أكاديميا عميقا.

يخبرنا الأستاذ الباحث أن الموضوع المركزي لعمله يتعلق ب "دور الغزالي في تشكيل الفكر والفلسفة الرشديين" ، لكن كيف كان حضور الغزالي عند ابن رشد؟

لعل هذا هو السؤال المحوري الذي يقودنا إلى لم مفاصل هذا العمل كله حيث يجيب الأستاذ الباحث أن هدا الحضور كان حضورا أصوليا، وهو ما سيفرد له الفصل الأول بجملتين؛ جملة عن الغزالي ومختصر المستصفى، وجملة عن الغزالي ومختصر المنطق. وحضورا فلسفيا،

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وهو ما سيفرد له الفصل الثاني بجملتين كبيرتين؛ يفرد إحداها إلى الغزالي والمختصرات الطبيعية والميتافيزيقية، ويفرد الأخرى إلى الغزالي والمختصرات الطبيعية، وأخيرا ما أسماه الباحث بالحضور السيكو. إيديولوجي للغزالي عند ابن رشد، من خلال الوقوف على حضور الغزالي في "فصل المقال" و"مناهج الأدلة" و"تهافت التهافت"، ليغلق الكتاب بما أسماه "خلاصات وأفاق" قبل أن نجد هوامش الكتاب ومصادره ومراجعه.

فماذا عن أنواع الحضور المتعددة للغزالي والتي شكلت المشروع الرشدي بأكمله حسب فرضية الكتاب، بل كيف تشكلت الفلسفة الرشدية من خلال "رصد الموقع الذي يشغله أبو حامد والأهمية التي يحظى بها في ثنايا الخطاب الفلسفي لابن رشد" ؟

يجد الباحث في مختصر المستصفى ضالته الكبرى في بيان التأثير الكبير الذي ساهم به الغزالي في تشكيل الخطاب الفقهي لابن رشد، ودون هدا الكتاب كان يصعب الحديث عن هدا الموضوع ومن هنا ما لاحظناه من قبل من حرص الباحث على التذكير بأهمية هدا الاكتشاف، إذ بداية المجتهد لا تذكر الغزالي إلا في سياق لا يسمح بالحديث عن حضور أصولي للغزالي، أما مختصر المستصفى فيقدم مادة علمية تسمح بإثارة التساؤلات وتقديم الفرضيات والبحث في الشخصية الأصولية عند ابن رشد.

يعالج الباحث في هدا الفصل دواعي اختيار ابن رشد لمستصفى أبي حامد ليختصره، لمادا كان المستصفى ضالة ابن رشد رغم وجود كتب أصولية أخرى؟ ثم ما دواعي إحجام ابن رشد عن اختصار مقدمة المستصفى المنطقية؟ وما معنى الحضور الإيديولوجي للغزالي ومزاحمته للحضور المعرفي عند ابن رشد؟ وما القضايا الكبرى التي شكلت تفاعلا قويا بين الغزالي وابن رشد؟

أما عن دواعي اختيار ابن رشد للمستصفى فيرجعها الباحث إلى جملة أسباب؛ فمن صناعية المستصفى وحسن نظره التي تفتقر إليها كثير من الكتب الأصولية سواء كانت للغزالي أو لشيخه الجويني، إلى نزعته التوفيقية من خلال جمع المستصفى بين مختلف المذاهب الفقهية الإسلامية مما أتاح لابن رشد "فرص التحليق في فضاء المذاهب" إلى ما يتيحه كتاب الغزالي من الإطلاع على انشغالات العالم الإسلامي إلى سلطة الغزالي نفسه عند ابن رشد ، هده السلطة التي كان يمارسها الغزالي على الموحدين، بل إن ابن رشد كتب مختصره في خضم حماس الموحدين

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

للغزالي، وهو تفسير إيديولوجي سيكولوجي، يقدمه الباحث من جملة أسباب، لتفسير إقدام ابن رشد على المستصفى.

أما لم يختصر ابن رشد مقدمة الغزالي المنطقية ففي القول فيها احتمالات كثيرة يفصل القول فيها الباحث، منها ما سماه ب "العارض المنهجي" المتمثل في أن المنطق ليس من علم الأصول، لكن لعل أهمها عدم اعتراف ابن رشد بالغزالي منطقيا، إذ ابن رشد لايعترف ب"حجية الغزالي المنطقية" .

يجرنا هذا الأمر إلى الحديث عن مختصر المنطق الذي غاب فيه الغزالي المنطقي وحضر الغزالي الأصولي، وحضر فيه كتابه "فيصل التفرقة: وحضر فيه موقفه من أن طريق المتكلمين في إثبات المعجزات ليس طريق الخواص، أما الجانب المنطقي فقد غاب رغم أهمية المنطق عند الغزالي في كل العلوم ، مما يؤكد فرضية عدم الاعتراف بالغزالي منطقيا، فتصور الغزالي للمنطق يختلف عن تصور ابن رشد، فإذا كان الغزالي يقول بدرائعية المنطق ويوظفه ويدمجه في علم الكلام فإن المنطق عند ابن رشد ليس موصلا للعلم فقط، بل هو علم أيضا . إن مختصر المنطق ومختصر المستصفى يكشفان، كل من جهته، على أهمية الغزالي في تشكيل المشروع الفلسفي لابن رشد، وبخاصة في أسماه جمال الدين العلوي ب "الفاصل الغزالي".

لكن ماذا عن الحضور الفلسفي للغزلي في تشكيل الفكر الفلسفي الرشدي؟

على خلاف مختصر المستصفى والمنطق تكشف المختصرات الطبيعية والميتافيزيقية مع مداخل مرحلة المختصرات عن حضور فلسفي شديد البيان للغزالي في تشكيل الفلسفة الرشدية، فكيف يستدل الباحث على دلك؟

يقدم الباحث اجتهادا مخالفا لشيخه يعتبر فيه أن المختصرات والجوامع لهما مشروع واحد ومرامي متماهية ، ويعتبر إمكان "إدماج القول في التلاخيص ضمن القول في المختصرات" لانتصارهما معا لأرسطو، رغم اختلاف مشروعهما المرحلي وقد سمح له هدا الاجتهاد بخدمة أطروحته الأساسية والتي يختلف فيها مع شيخه والتي تعتبر "الغزالي أحد الدوافع الأساسية لانتصار ابن رشد لأرسطو، ومن ثم لأرسطية أبي الوليد ككل" في الجوامع والمختصرات معا "من منطلق أنهما نمط واحد من الكتابة لدى ابن رشد مما يجعله أحد المكونات المركزية للفلسفة الرشدية ..[حيث]سينشر الغزالي بظلاله على كل لحظات تطور المشروع الرشدي" . وسيؤكد

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

الباحث هدا الأمر إلى درجة أنه يعلن بقوة إنه "لولا أبو حامد الغزالي [ما أصبح] ابن رشد أرسطيا" ، ومن هنا أهمية المختصرات بل والتلاخيص والشروح أيضا في تجلية تأثير الغزالي؛ في المختصرات التأثير جلي وواضح، وفي التلاخيص والشروح هناك ما أسماه الباحث ب "معالم فلسفية كامنة"، وسيتحول الجلي والثاوي إلى حضور فلسفي للغزالي بامتياز كما يقول . وسيكون هدا الفصل سفرا في مختصرات ابن رشد الطبيعية والميتافيزيقية من أجل تجلية هذا الحضور القوي للغزالي، فهذا الحضور تتجلى في مستويات مختلفة :

. موافقة ابن رشد الغزالي في انتقاداته لابن سينا ، وسيستخلص الباحث من دلك "الحضور الغزالي الفلسفي لدى ابن رشد ... من خلال توجيه أبي الوليد إلى تحاشي السينوية والفيضية والأفلاطونية نحو الأرسطية"

ومن هنا ينظر الباحث إلى هدا الحضور "في طبيعته الكلية، اي بما هو حضور يمارس مفعوله ... على التوجه الفلسفي الرشدي بكامله، من خلال الدفع به نحو الأرسطية" و"تخليصه من الشكوك والاعتراضات الموجهة عليه مع رسم الحدود الفاصلة بين الأرسطية والسينوية ..وبينها وبين المعلم الأول وثامسطيوس وغيره من المعترضين عليه أو الدين يسيئون فهمه بوجه عام"

. إعلان ابن رشد أن قصده من كتابة المختصرات الطبيعية هو أن يصنع ما صنعه الغزالي في المقاصد لما يرجوه في دلك لأهل زمانه "من المنفعة التي رجاها وللسبب الذي ذكره". فقد قام ابن رشد ب "شرح الأرسطية" كما حاول الغزالي أن يصنع فلم يفلح كما ذكر ابن رشد . رغم أن قصد ابن رشد غير قصد الغزالي الأقصى، فقد كان قصد الغزالي نقد فلسفة أرسطو أما قصد ابن رشد فكان إخراجها مخرجا برهانيا، و"التعريف بعلمية مذهبه" في المختصرات وأيضا في التلاخيص التي كانت هده الديباجة بيان عمل لبرنامجها كما يلاحظ الباحث ، مؤكدا هدا الجمع بين المختصرات والجوامع والتلاخيص. وهكذا يصبح الغزالي، دون غيره من فلاسفة الإسلام الدين كان تأثير بعضهم في ابن رشد جزئيا نموذجا لابن رشد وقدوة يحتديها وبخاصة في كتابه "مقاصد الفلاسفة"، الذي يتميز بطابع أرسطي واضح ، والذي أعلن فيه رغبته في التعرف على مذهب أرسطو، وهو ما لم ينجزه لأنه قدم أرسطو "عبر وساطات أهمها الفارابي وابن سينا" ، وأنجزه ابن رشد. لكن محدودية مشروع المختصرات جعل ابن رشد يحجم عن تفجير الصراع مع الغزالي الأمر الذي سيقوم بله في مرحلة التلاخيص وكتب "الفاصل الغزالي" حيث سيصبح الحوار مع الغزالي

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

حوارا خاصا ومفردا يعيد من خلاله ابن رشد الأرسطية إلى مناخها الفعلي الطبيعي مناخ الجدل . لقد استطاع ابن رشد، كما يذهب إلى دلك الباحث "تمرير خطابة الفلسفي الجديد على حساب الغزالي ...لما كان يتمتع به أبو حامد من سلطة شعبية وسياسية في آن واحد" ، وهو ما يبرز الفضاء السيكو . إيديولوجي لحضور الغزلي عند ابن رشد. ويستشهد الباحث بنص جميل للمرحوم جمال الدين يعتبر فيه "أن روح الغزالي ظلت حاضرة في مشروع التلاخيص الرشدية ...[بل] إن هدا المشروع كان بجهة من الجهات ردا ضمنيا على الغزالي ونقدا لمشروعه الفكري الخطير" ، وهو ما حاول الباحث أن يدلل عليه من خلال فحص المتن الرشدي ومتن الغزالي بل متون كل من الفارابي وابن سينا وابن باجة وإن كان دائما يردد أن تأثير الثالوث الأخير في ابن رشد كان تأثيرا جزئيا قطاعيا، مع استثناء ضعيف للشيخ الرئيس، ولم يكن تأثيرا كليا كما هو الشأن مع حجة الإسلام.

لقد راهن مساعد على تجديد النظر في لحظة انبثاق الرشدية ليزيح المزاعم القديمة التي تفسر انبثاق الموقف الرشدي بقرار سياسي أو إعجاب بأرسطو رغم أهمية هدين المبررين، لكن ليس بجهة النظر التي تقدم لهما في العادة ، وهو يراهن بدلك على "إعادة انتماء ابن رشد إلى تاريخ الفلسفة ... وإلى تربته الإسلامية" . فالحضور الغزالي هو حضور كلي واستمراري سيصل حتى مرحلة الشروح انطلاقا من المختصرات مرورا بالتلاخيص والفاصل الغزالي، فإذا كانت الشروح تعبر عن نضج الرشدية واكتمالها فإن هدا الفاصل يعتبر كمالا ما لمشروع أبي الوليد. ورغم إحساس الباحث بصعوبة هده الفرضية والتدليل عليها فإنه يضعها على سبيل المصادرة قبل أن يفرد لها الفصل الثالث والأخير من بحثه القيم هدا.

الفصل الأخير من عمل الأستاذ مساعد هو وقوف عند ما أسماه ب"الحضور السيكو. إيديولوجي الغزالي لدى أبي الوليد" وهو ما تجليه أكثر نصوص الثلاثية الشهيرة أو "الفاصل الغزالي" بتعبير المرحوم جمال الدين العلوي، هدا الفاصل الذي أخرج إلى الفعل الحضور السيكو . إيديولوجي الغزالي الذي كان بالقوة في المختصرات، مع استمرار الحضورين الأصولي والفلسفي. لكن أهم ما نجد في هدا الفصل أن باحثنا ينقل الحضور الكلي الغزالي إلى ما أسماه بالحضور "الميتا.فلسفي" الدي قصده به تلك "الإشكالات التي تبدو كأنها تقع على هامش العمل الفلسفي ..إلا أنها تتنزل منه في الحقيقة منزلة العمق والمرتكز" ، وقد كان الحضور الغزالي في الفاصل في هدا المستوى حيث أثيرت على الخصوص مشكل علاقة الفلسفة بغيرها من أنماط التفكير الأخرى، من

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

مثل علاقة الفلسفة بالشريعة، وعلاقة الفلسفة بعلم الكلام، وغيرها من أنواع العلاقات التي تظهر على هامش الفلسفة، لكنها تؤثر في مسارها، وهو ما يظهره الباحث في علاقة الغزالي بابن رشد، حيث ستطبع الرشدية "بطابع جدلي سيفرضه الحضور الجدلي ...للغزالي" ، كما سيكون للحضور السيكولوجي للغزالي دوره في تعامل ابن رشد مع الغزالي مما يخفف أحيانا من حدة التوتر بينهما، فقد ظلت صورة الغزالي من حيث هيبته وصورة السائدة عنه في العالم الإسلامي أحد الموجهات الأساسية في تعامل ابن رشد مع حجة الإسلام، فكيف تجلى هدا الحضور الإيديولوجي . السيكولوجي للغزالي عند ابن رشد؟

يلتفت الباحث إلى نصوص رشدية يبحث فيها هده العلاقة يبدأ بفصل المقال، ثم يثني ب "مناهج الأدلة" ثم يختم ب "تهافت التهافت".

قبل أن يعبر الباحث إلى "فصل المقال" يقف عند الضميمة باعتبارها "فاتحة الفاصل الغزالي" كما يؤكد الأستاذ المرحوم، وإذا كانت الضميمة تعالج إشكال العلم الإلهي فإن ما يهم الباحث هنا الإشارة إلى أن الضميمة هي "النص الأول الذي ينقل إلينا المواجهة الصراعية الصريحة ..بين أبي الوليد وأبي حامد ...فيما يخص الموقف الرشدي الفلسفي" ، من خلال النظر في التهافت وحده أما فصل المقال فيستحضر أهم نصوص أبي حامد، ويتميز الفصل بحدة في مواجهة الغزالي حتى إن أبا الوليد يصدر "الحكم على أبي حامد بالتكفير والاستنجاد ضده بأئمة المسلمين، الأمر الذي يجعل من "الفصل" في جملته، مجموعة فتاوى ضد الغزالي" .رغم أنه في كثير من المواقف يبدو حذرا في حكمه على الغزالي مما يبرز الطابع الإشكالي لعلاقة ابن رشد بالغزالي ، يقدم الباحث عدة فرضيات لتفسير هدا الإشكال ويفصل القول فيها لينتهي إلى أن الصورة التي يقدمها الفصل للغزالي دات وجهين؛ وجه سوفسطائي بمعنى خاص أي سفسطائي مشاغب وإلا فإنه يعتبره "من أهل العلم، ويحظى لديه باحترام العلماء" ، وجه الجامع بين "عدة أطراف وروافد قلما تجاورت وتعايشت بينها، . لكن يظل فصل المقال الكتاب الذي انتصر فيه ابن رشد للمعلم الأول ضدا على تكفير الغزالي للفلاسفة، فقد دفع الغزالي ابن رشد "إلى الإمعان في الانتصار للأرسطية" ، فضلا هن أنه وجهه للدفاع "عن القول الفلسفي" كما أنه نبهه إلى "الحال التي يوجد عليها العالم الإسلامي من فرقة" ومن هنا هدا الموقف المتردد من أبي حامد؛ بين الانتصار له عالما

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

والتحذير من كتبه ودعوة السلطة إلى منعها، نشدانا إلى جمع القلوب وحماية الفلسفة، وفي خاتمة فصل المقال ينبه ابن رشد إلى بعض من هده المعاني.

أما مناهج الأدلة فيقدم صورة أوضح لعلاقة ابن رشد بالغزالي، هاهنا ابن رشد يكون "صورة أكثر اكتمالا ونضجا عن أبي حامد" ، يتراوح موقفه منه بين العنف والمهادنة ، حيث "يتبنى ابن رشد ...بعضا من آراء الغزالي ، ويقدم عمله، من ثم، على أنه استمرار أو استئناف لعمل حجة الإسلام" لمواجهة التأويلات الفاسدة وبيان طرق الشرع في تعليم الجمهور العقائد ، ومواجهة الغزالي نفسه في إساءة فهمه لعلاقة الحكمة بالشريعة ، والغريب، كما يلاحظ دلك الباحث أن مشروع الغزالي في الكشف يكاد يطابق مشروع الغزالي في "إلجام العوام" وهو الكتاب الذي لم يشر إليه أبو الوليد في كتابه . فالكشف يستعيد مشروع "إلجام العوام" وهو ما يبرز الحضور غير المشكوك فيه للغزالي لدى أبي الوليد .وإذا كان الباحث قد تشكك في منزلة الكشف من نصوص الفاصل الغزالي فإنه عاد في الأخير ليدمج الكشف ضمن هدا الفاصل ويفتحه على التهافت.

كتاب التهافت رد على تهافت الغزالي، ضد "دعاوى الغزالي ضد الفلسفة والفلاسفة" ، فالهاجس الغزالي واضح في الكتاب الذي "يمكننا من التعرف على ما انتهت إليه العلاقة بين الرجلين، ومن ثم ...صورة الغزالي وهويته النهائية لديه" . إذ إن ابن رشد لن يستدعي الغزالي في الشروح دون أن يكون هدا مدعاة للقول بأن الغزالي قد توقف تأثيره .لقد احتوى تهافت ابن رشد على "مجموع النصوص والمواقف السالفة عليه من الغزالي" وهو ما يسمح ب"إمكانية الاطلاع ...على كل أبعاد الحضور الغزالي ...في كل المتن الرشدي" ؛

. في التهافت حضور سيكولوجي . إيديولوجي يتلمس في "كون ابن رشد ما يزال يخشى سلطة أبي حامد على العامة" ، وفي كون التوتر الدي يعانيه ابن رشد "بين القول إن الغزالي عالم حجة أو إنه مجرد سفسطائي مغالط" .

. وفي التهافت حضور ميتا . فلسفي يتحدد "من خلال أربعة موضوعات مركزية" ترتبط بموضوع الكتاب وفي مسألتي علاقة الحكمة بالشريعة ومنزلة علم الكلام بين الفلسفة والشرع، وأخيرا فحص العلاقات بين المواقف الفلسفية ، سيفصل الباحث في هده المواضيع، مبرزا أن عدم تحديده موضوعا للكتاب سيقوده، بعبارة أرنالديز إلى "معالجة قضايا الفلسفة الكبرى جميعها" ، وأن القول في علاقة الحكمة بالشريعة لا يختلف عما قاله في الفصل والكشف ، مع نقد عنيف

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

للأشعرية و"الحكم على المشروع الأشعري بكامله بالسفسطة . لكن التهافت ينفتح أكثر على الانتصار لأرسطو من خلال تخليصه من "الانحرافات السينوية وبيان انفصالها من معاندات أبي حامد وإلزاماته" ومن ثم الانتصار للفلسفة بإطلاق من خلال الإعلان عن "فكرة الوحدة في الفلسفة، كما هو الشان في الصلة بين أرسطو وأفلاطون" مما يؤكد "الحضور الفلسفي الغزالي لدى أبي الوليد بما هو حضور كلي" ، في هدا الكتاب الدي يعتبره الباحث "كتابا فلسفيا" يتشابك فيه الجدل والبرهان ، الجدل جعل الكتاب في متناول العامة في، مما جعل ابن رشد يقع في نفس خطيئة أبي حامد في ظاهر الرأي .والبرهان جعل الكتاب "من حق الخاصة ..." ، فجمع بدلك بين الخاصة والعامة رغبة في التحاق الجدد بصفوف أهل البرهان، لدا كان الجدل مقدمة للبرهان، لكن الباحث يؤكد أن التهافت كتاب "يخاطب الخاصة بالقصد الأول" لكنها الخاصة ... الفتية .. وهم الملتحقون الجدد بسلك الخاصة" ، لدلك تظل القراءة الرشدية للغزالي في التهافت بل وفي "مؤلفات الفاصل الغزالي" جميعها داخل تاريخ الفلسفة ولا تكاد تخرج عنه ، بل إن هده القراءة هي التي تضمن عند الباحث وحدة الفكر الرشدي ومتنه كما يختم كتابه بدلك الفصل الأخير من كتابه.

وأخيرا، فقد ساح بنا السي مساعد في هدا الكتاب سياحة طريفة من خلال بحث سماه "مونوغرافيا مجملا"، ينتظر إنجاز أبحاث أخرى، مثل "موضوع الحضور الأصولي الغزالي لدى ابن رشد"، وموضوع "موقف ابن رشد من منطق الغزالي"، وكدا نمط حضور كل من الفارابي وابن باجة وابن سينا في الفلسفة الرشدية، وموضوعات أخرى ينبه عليها الباحث ويرة في إنجازها كمالا لعمله، إن أهم عناصر قوة هدا البحث انتصاره للحضور الفلسفي للغزالي في الفلسفة الرشدية، وإبراز دور الغزالي في ذهاب ابن رشد إلى الأرسطية، من خلال معطيات يرى الباحث أنه يتعاورها خصب وقصور، لكن نحن هنا لا يسعنا إلا أن نرى في عمل زميلنا الأستاذ محمد مساعد إنجازا يستحق كل تقدير، واجتهادا متميزا داخل المذهب الذي دشنه المرحوم جمال الدين العلوي في علاقة ابن رشد بالغزالي.

المصدر

محمد مساعد، بين مثابتين، منزلة الغزالي في فلسفة ابن رشد، نشرة دائرة الثقافة والإعلام الشارقة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى 2014 .